



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

أيهما الصواب أن الإنسان منفعل أم فاعل ؟

أيها الأخوة الأكارم، مع الدرس الخامس والثلاثين من دروس سير صحابة رسول الله رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، وصحابي اليوم سيدنا سلمان الفارسي، وقد قال عليه الصلاة والسلام، في الحديث الصحيح:

((سلمان منا آل البيت، وأنا جدُّ كل تقى، ولو كان عبداً حبشياً))

[ورد في الأثر]

هذه القصة، لعل بعضكم أو أكثركم يعرف خطوطها العريضة، ولكن لا بد من مقدمة حتى نعرف أبعاد هذه القصة . أحياناً هناك من يقول: إن الإنسان ابن بيئته، ابن الظروف المحيطة به، ابن أمه وأبيه، ابن وراثته، ابن مستوى ذكائه، وكان الإنسان منفعل، وليس فاعلاً، تؤثر فيه الظروف، والبيئة، وتؤثر فيه وراثته، ونوع التعليم الذي تلقاه يؤثر فيه، وكان الإنسان والحالة هذه كرة، إن رأت منحدرأ، انطلقت، فإن رأت صعوداً وفقت، لكن الحقيقة خلاف ذلك .

الإنسان ليس منفعلاً، بل هو فاعل، فإذا أراد الإنسان شيئاً تخطى كل العقبات، وإذا صمم على شيء تجاوز كل المشكلات، والحقيقة أن الكسالى والمقصرين، والعصاة يتمسكون بنظرية أن الإنسان منفعل، يقول لك: ظروفى صعبة، وبيئتي سيئة، وما تلقيت تربية جيدة، وما تعلمت، فكل أخطائه يعزوها إلى جهاتٍ خارجة عنه ويستريح .



إذا أراد الانسان شيئاً وصل إليه

لكن الحقيقة عكس ذلك، الإنسان فاعل وليس منفعلاً، فهذا الماء منفعل، فإن سفته في منحدر سال نحو الأسفل، وإن سفته في أرض مستوية تجتمع بشكلٍ أفقي، وإن أصابته شمسٌ تبخر، وهناك قوانين تحكم هذا الماء، فالماء منفعل، لكن الإنسان ربما يتحرك بخلاف راحته، وربما يتجاوز كل المنبسطات في بيئته، وربما يحطم كل عقبة تقف أمامه، ولو لا أن الإنسان بهذه الصفة لما كان مكرماً، لو كان الإنسان منفعلاً كما يتوهم بعض الناس لما كان له قيمة، فحكمه عندئذٍ حكم الأشياء المادية، تتحرك بحسب القوانين، وبحسب المعطيات، لكن الإنسان إذا أراد شيئاً، وصل إليه، ولذلك قال بعض الأدباء: إن القرار الذي يتخذه الإنسان في شأن مصيره، قلما

تتفضه الأيام، إذا كان صادراً حقاً عن إرادة وإيمان .

أُيعقل لإنسان في الخامسة والخمسين أن يتعلم القراءة والكتابة؟ نعم، إذا كان ذا عزم وبصيرة، أو أن يحفظ القرآن الكريم بكامله، أو أن يطلب العلم، أو يبدأ بتعلم القراءة والكتاب، وما يموت إلا وهو شيخ الأزهر، أحد شيوخ الأزهر الكبار بدأ تعلمه للقراءة والكتابة في الخامسة والخمسين، وحفظ القرآن، وطلب العلم، ومات في السادسة والتسعين، وما مات إلا وهو شيخ الأزهر، وشيخ الأزهر بمصر، أعلى مرتبة في سلم المناصب الدينية في مصر .
فالإنسان إذا أراد شيئاً لا يستطيع قوة في الأرض أن تقف أمامه، لأن الله جهزه تجهيزاً أساسه الصدق، ولأن ربنا عز وجل حينما خلقه في الدنيا، قال له:

((عبي، اطلبْ تُعط))

قال تعالى:

(كُلًّا نُمِدُّ هُوَآءَهُ وَهُوَآءُهُ مِنْ عَطَايِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَايَ رَبِّكَ مَخْطُورًا)

(سورة الإسراء الآية: 20)

لكن الله سبحانه وتعالى لا يتعامل مع التمنيات، بل يتعامل مع الصادقين، اصْدُقْ يصدقك الله سبحانه وتعالى، أي يحقق نواياك .
يوجد عندنا شيء آخر، مثل منتزَع من عالم الزراعة، لو جئنا بكمية بذور، ولتكن مئة بذرة، وورثناها على الفلاحين، وراقبنا نبات هذه البذور، فإذا وجدنا عند تسعين فلاحاً أن هذه البذرة لم تنبت نباتاً جيداً، ولم تثمر الثمر المطلوب، والأوراق صفراء، والنبات ضعيفة، ورأينا عند عشرة فلاحين، البذرة في أعلى درجات عطائها وإنتاجها، فالعلة في الفلاح أم في البذرة؟ في الفلاح، هل يستطيع أن تنبت البذرة؟ ما دام عشرة أشخاص اعتنوا بها عناية فائقة، أعطت محصولاً كبيراً، والنبات تألق، فلذلك هؤلاء العشرة حجة على التسعين، ولو قلت: البذرة سيئة، فلماذا نبت هذا النبات الجيد عند الآخرين؟ معناها البذرة جيدة، لكن معظم الذين زرعوها أهملوها، ولم يعتنوا بها، ولم يكونوا في المستوى المطلوب، فإذا رأيت الأكثرية مقصرة، فهل المعنى أن الإنسان منفعل؟ لا .

ما اسم قرية سلمان الفارسي وهل كان أبوه من الطبقة العليا في قريته وكيف كانت علاقة أبيه معه ؟

موضوعنا اليوم سيدنا سلمان الفارسي، فلا يوجد إنسان أبعد عن الهدى من هذا الإنسان، إليكم الأسباب، لكن أنا كما عوّدتكم أبحث عن قصة لصحابي جليل يرويها هو، فروايتة أشقى للجليل، فسيدنا سليمان كان فتىً فارسياً من أهل أصبهان، من قرية يقال لها: جيان، يقول سلمان الفارسي عن نفسه:

((كنت فتىً فارسياً، من أهل أصبهان،))



-واسمحوا لي بالخروج عن رواية سلمان قليلاً .

ذات مرة كنا في إيران، وركبنا طائرة حلقت على ارتفاع ألف كيلو متر، حتى وصلنا إلى مدينة اسمها مشهد، ثم زرنا قرية في طرف المدينة، اسمها طوس، هي بلدة الإمام الغزالي، فكيف قدم الإمام الغزالي من طوس إلى الشام؟ طوس تبعد عن طهران ألف كيلو متر، من طوس إلى طهران، إلى عربستان، إلى بغداد، إلى الشام، فتشعر أن الإنسان الصادق، لا يوجد عقبات أمامه- وكان أبي دهقان القرية، معنى دهقان القرية، أي رئيسها- غالباً أبناء الملوك، أبناء الزعماء، أبناء الأغنياء، لشدة المال، والرشاء، والجاه، يعزفون عن الهدى، مشغولون في دنياهم، في نزهاتهم، في مقاصفهم، في ألعابهم، في الأموال التي بين أيديهم، في المركبات التي يركبونها، فأبعد الناس عن طلب الحق هم أبناء الأغنياء، وأبناء الأثرياء، وأبناء الأقوياء، هؤلاء الدنيا العريضة التي بين أيديهم تشغلهم عن الله عز وجل، فمن كان أبو سيدنا سلمان؟ الله عز وجل جعل هذا الصحابي الجليل حجة على كل الناس، كان أبو سيدنا سلمان دهقان القرية، وكان أغنى أهلها، وأعلامهم منزلة، فشيء مألوف أن ترى إنساناً من الطبقة الوسطى أو الفقيرة يريد الله عز وجل، ويريد الآخرة، يقول لك أهل الدنيا: هذه عملية تعويض، لأنه فقد الدنيا فالتفت للآخرة، هذا كلام غير صحيح، غير صحيح إطلاقاً، فسيدنا سلمان حجة على هذا الكلام، وقد كان أهل الكهف من أبناء النخبة الثرية أيضاً، قال تعالى:

(فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا)

(سورة الكهف الآية: 16)

أين كانوا يسكنون؟ في القصور، تركوا القصور إلى الكهوف، أرادوا الله عز وجل، فإذا كان موضع الهدى، إنسان فقير، قالوا: أراد التعويض عن خسارة الدنيا فالتجأ إلى الآخرة .

مرة قرأت مقالة في مجلة جاء فيها أن هؤلاء المتدينين فشلوا في الحياة، وذهبت الدنيا من بين أيديهم، فلم يبق لهم إلا الآخرة، فانكبوا عليها، هذا ظن الذين كفروا، لكن المؤمن، وهو في أعلى درجات القوة، وفي أعلى درجات الغنى، وفي أعلى درجات الشباب، يُقبل على الله عز وجل، ويضع الدنيا تحت قدميه .-

قال:

((وكنت أحبَّ الخلق إليه، ثم ما زال حبه بي يشتد، ويزداد على الأيام، حتى حبسني في البيت، خشيةً علي، كما تحبس الفتيات))

ما هي الديانة التي كان يعتنقها سلمان، وما الذي لفت نظره في كنيسة النصارى، وما هو موقف والده حينما أتى سلمان على دين النصارى ؟
قال:

((وقد اجتهدت في المجوسية، كان مجوسياً))

-وحتى هذا التاريخ أحد أخواننا زار بعض البلاد شمال باكستان، فهناك من يعبدون النار حتى الآن، وأطلعني على تقويم كيف تُنشأ الأبنية، وتوقد فيها النيران ليلاً ونهاراً؟ وهذا الذي يوقد النار ليلاً ونهاراً ذو مستوى عالٍ في دين المجوس، وقال: وقد اجتهدت في المجوسية، حتى غدوت قِيمَ النار، فالذي يوقد النار هو في مرتبة دينية عالية جداً، كان مجوسياً، على غني، على وجاهة، على حب، وكل هذه العوامل مثبتاتٌ للهدى- حتى غدوت قيم النار التي كنا نعبدها، وأنيط بي أمرُ إضرامها، حتى لا تخبو ساعةً في ليلٍ أو نهار، وكانت لأبي ضيعةً عظيمةً تدرُّ علينا غلةً كبيرة، وكان أبي يقوم عليها، ويجني غلتها، وفي ذات مرةٍ شغله عن الذهاب إلى القرية شاغل، فقال: يا بني، إني قد شغلت عن الضيعة بما ترى، فإذهب إليها، وتولِّ اليوم عني شأنها، فخرجت أقصد ضيعتنا، وفيما أنا في بعض الطريق، مررت بكنيسةٍ من كنائس النصارى، فسمعت أصواتهم فيها، وهم يصلُّون، فلفت ذلك انتباهي، قال: فلما تأملتهم، أعجبتني صلاتهم، ورغبت في دينهم، وقلت: والله هذا خيرٌ من الذي نحن فيه .

-بالمناسبة، ما من إنسان إلى حدٍ ما في الأعم الأغلب يغدو مؤمناً صادقاً إلا وله طلبٌ قديم منذ نعومة أظفاره يتمنى أن يكون مؤمناً، ويتمنى أن يكون طائعاً لله عزَّ وجل، يبحث عن الحق بحثاً مستمراً، وعنده رغبة جامحة، وصدق في طلب الحقيقة .



فالإنسان منطقي، لكن يحتاج إلى لحظة صدقٍ مع نفسه، سيدنا نعيم بن مسعود، جاء إلى المدينة، ليحارب رسول الله، جاء مع الأحزاب، الذين حاصروا النبيَّ عشرين يوماً، وفي إحدى الليالي فكرَّ هذا الصحابي تفكيراً صافياً، فقال: لماذا أنا مع هؤلاء؟ لماذا أحارب هذا الرجل الصالح، إلام يدعو؟ يدعو إلى عبادة الله خالق الأكوان، وأصحابه أناسٌ طيبون، منصفون، عادلون، لماذا أحاربهم؟ فعلى الإنسان أن يفكر، لماذا أنا أفعل هذا؟ لماذا ابتعد عن هذا؟ لما لا أستجيب؟ وفي الحديث عن حُذَيْفَةَ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

((لَا تَكُونُوا إِعْمَةً، تَقُولُونَ: إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ أَحْسَنًا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلَمُوا))

[أخرجه الترمذي في سننه عن حذيفة]

تأمل سلمان، وأدار فكره- ثم قال: فو الله ما تركتهم، حتى غربت الشمس، ولم أذهب إلى ضيعة أبي، ثم إني سألتهم، أين أصل هذا الدين؟ قالوا: في بلاد الشام، وسلمان يعيش في أصبهان، في بلاد الفرس، ولما أقبل الليل، عُدت إلى بيتنا، فتلقاني أبي يسألني عما صنعت؟ فقلت: يا أبت، إني مررت بأناسٍ يصلون في كنيسة لهم، فأعجبني ما رأيت من دينهم، وما زلت عندهم حتى غربت الشمس، فذعر أبي مما صنعت، وقال: أي بني، ليس في ذلك الدين خير، -وهذا شأن الآباء، وشأن الذين عطَّلوا عقولهم، فقد أَلِفَ ما هو مقيِّمٌ عليه، ويرفض كلَّ تجديد، والإنسان العاقل لا تنطبق عليه الآية الكريمة:

((إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ))

(سورة الزخرف الآية: 22)

العاقلُ يقيِّمُ الأمور، ويتفحص، ويتأمل، ويزن بميزان العقل، وبميزان المنطق، وبميزان الفطرة .
بالمناسبة هل تدرّون من هو الجاهل؟ لعل أكثركم، يقول: الذي لا يعلم، لا، الذي لا يعلم اسمه أمي، أما الجاهل فممتلئ معلومات، لكن كلُّها غلط، والذي لا يعلم، يقال له: أمي، أما الذي يعلم مقولات كلها غير صحيحة، فهذا هو الجاهل، فتعريف الجاهل: هو عدم مطابقة الكلام للواقع .
قال:

((دينك يا بني، ودين أبائك خيرٌ منه، قلت: كلا والله، إن دينهم لخيرٌ من ديننا، فخاف أبي مما أقول، وخشي أن أرتد عن ديني، وحبسني بالبيت، ووضع قيِّداً في رجلي، -قيِّد الغنى، وقيِّد الوجيهة، وقيِّد التفوق في المجوسية، وقيِّد المحبة، والقيِّد الخامس قيِّد حديدٍ وضعه في رجله- خشية أن يرتد عن دينه))

سلمان من أولئك الباحثين عن الحقيقة :

قال:

((لما أتيت لي الفرصة، بعثت إلى النصرى، أقول لهم: إذا قدم عليكم ركبٌ يريد الذهاب إلى بلاد الشام، فأعلموني، فما هو إلا قليلٌ حتى قدم عليهم ركبٌ متجةً إلى الشام، فأخبروني به، فاحتلت على قيدي حتى حلتته، وخرجت معهم متخفياً، حتى بلغنا الشام.))



افضل الاباء من دلّ ولده على الله

-لذلك قالوا: هناك أبٌ أنجبك، وهناك أبٌ زوّجك، وهناك أبٌ ذلك على الله، فالأب الذي أنجبك، ينتهي فضله عند الموت، أي هو ساهم بإيجادك، ساهم بأنه جعلك إنساناً، فلما جاء ملك الموت انتهى فضله، والأب الذي زوّجك ينتهي فضله عليك بفراق زوجتك، أما الأب الذي ذلك على الله، فهذا يمتد فضله إلى أبد الأبد، لأنه كان سبباً في إدخالك الجنة، فذلك هو يبحث عن رجل يدلّه على الله. .
قال:

((فلما نزلنا في الشام، قلت: من أفضل رجل من أهل هذا الدين؟ قالوا: الأسقف راعي الكنيسة فجنّته، فقلت: إني قد رغبت في النصرانية، وأحببت أن ألزمك وأخدمك وأتعلّم منك وأصلي معك، قال: ادخل، فدخلت عليه، وجعلت أخدمه، ثم ما لبثت أن عرفت أن الرجل رجل سوء، فقد كان يأمر أتباعه بالصدقة، ويرغّبهم بثوابها، فإذا أعطوه منها شيئاً لينفقه في سبيل الله اكتنزها لنفسه، ولم يعط الفقراء والمساكين منها شيئاً، حتى جمع سبع قلال من الذهب، -القلال جمع قلة، والقلة الجرّة الكبيرة- قال: فأبغضته بغضاً شديداً لما رأيته منه، ثم ما لبث أن مات، فاجتمعت النصرى لدفنه، وتعظيمه، وتأيينه، فقلت لهم: إن صاحبكم كان رجل سوء، يأمركم بالصدقة، ويرغّبكم فيها، فإذا جنتموه بها اكتنزها لنفسه، ولم يعط المساكين منها شيئاً، قالوا: من أين عرفت ذلك؟ قلت لهم: أنا أدلكم على كنزه، قالوا: نعم دلنا عليه، فأريتهم موضعه، فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهباً وفضةً، فلما رأوها، قالوا: والله لا ندفنه، ثم صلبوه ورجموه بالحجارة.))

-أعظم الأعمال إجراماً أن ترفع مبادئ وشعارات، وأن تفعل خلافها، أن تدعو إلى شيءٍ والأنت أمر به، ماذا قال أحد الأنبياء؟ قال تعالى:

﴿وَمَا أَرِيدُ أَنْ أَخْلِفُكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَآكُمْ عَنْهُ﴾

(سورة هود الآية: 88)

من الممكن أن يكون لإنسان مظهر، لكن مخبره غير مظهره، هذه أول تجربة من تجارب سيدنا سلمان الفارسي. .
ثم إنه لم يمض غير قليل حتى نصبوا رجلاً آخر مكانه، فلزمته، قال: فما رأيت رجلاً أزه منه في الدنيا، ولا أرغب منه في الآخرة، ولا أدأب منه على العبادة ليلاً ونهاراً، فأحببته حباً جماً، وأقمت معه زماناً، فلما حضرته الوفاة، قلت له: يا سيدي إلى من توصي بي، ومع من تنصحتني أن أكون من بعدك، -لأن الله عز وجل يصف أهل الدنيا، وقد فاتهم الإيمان، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّخَذُوكُم مِّن دُونِ اللَّهِ آلِيًّا وَلَآ بَأْسَ بِالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ مِن دُونِ أَهْلِ بَيْتِكُمْ أُولَٰئِكَ مَتَّعْتُهُم مَّا رَزَقْتُمْ وَأَخَذَتُم بِهِمْ مَقَامَ اللَّهِ بَلْئِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

(سورة الفرقان الآية: 27)



حاجة الإنسان للصحة والجماعة

مع الرسول، أي أنت بحاجة إلى رفيق، إلى إنسان يعينك على أمر دينك، أنت بحاجة إلى جماعة، إلى مجتمع مسلم، يقوي فيك عزيمة الإيمان، يبعدك عن مزلق الشيطان، يرغّبك في الآخرة، لا تصاحب من لا ينهض بك إلى الله حاله، ولا يدلك على الله مقاله. .

قال: أي بني، لا أعلم أحداً على ما كنت عليه، إلا رجلاً بالموصل، هو فلان، لم يحرف، ولم يبذل، -المعنى: من هم أهل الضلال؟ الذين حرفوا وبدلوا- هو بالموصل فالحق به، فلما مات صاحبي، لحقت بالرجل، فلما قدمت عليه، قصصت عليه خبري، وقلت له: إن فلاناً، أوصاني عند موته، أن ألحق بك، وأخبرني أنك مستمسك

بما كان عليه من الحق، فقال: أقم عندي ، فأقمت عنده، فوجدته على خير حال، ثم إنه لم يلبث أن مات، فلما حضرته الوفاة، قلت له: يا سيدي، لقد جاءك من أمر الله ما ترى، وأنت تعلم من أمري ما تعلم، فإلى من توصي بي، ومن تأمرني بالحق به؟ فقال: أي بني، والله ما أعلم أن رجلاً على مثل ما كنا عليه، إلا رجلاً بنصيبين هو فلان فالحق به، -معناها أهل الحق قلة، قال تعالى:

﴿وَمَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾

(سورة يونس الآية: 36)



فلما غُيِبَ الرجل في لحدّه، لحقت بصاحب نصيبين، وأخبرته خبري، وما أمرني به صاحبي، فقال لي: أقم عندنا، فأقمت عنده فوجدته على ما كان عليه صاحبا من الخير، فو الله ما لبث أن نزل به الموت، فلما حضرته الوفاة، قلت له: لقد عرفت من أمري ما عرفت، فإلى من توصي بي؟ قال: يا بني، والله إني لا أعلم أحداً بقي على أمرنا، إلا رجلاً بعموريا، هو فلان، فالحق به، فلحقت به، وأخبرته خبري، فقال سلمان: كنت أصِل إليهم في أواخر حياتهم كلهم، فقال: أقم عندي، فأقمت عند رجلٍ، كان والله على هدي أصحابه، وقد اقتنيت عنده بقراتٍ وغنيمه، ثم ما لبث أن نزل به ما نزل من أصحابه من أمر الله، فلما حضرته الوفاة، قلت له: إنك تعلم من أمري ما تعلم فإلى من توصي بي، وما تأمرني أن أفعل؟ فقال: يا بني، والله ما أعلم أن هناك أحداً من الناس بقي على ظهر الأرض، مستمسكاً بما كنا عليه، ولكنه قد أطلّ واقترب زمانٌ يخرج فيه بأرض العرب نبيٌ يبعث بدين إبراهيم، ثم يهاجر من أرضه إلى أرض ذات نخل بين حرتين، وله علامتٌ لا تخفى، هو يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، وبين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل -فصارت تنقلته كلها رحلةً في البحث عن الحقيقة .

المكان الفلاني، مكان جميل جداً، الفندق الفلاني، المسبح الفلاني، الملعب الفلاني، المقصف الفلاني، هؤلاء أهل الدنيا، أما أهل الآخرة، العالم الفلاني، المرابي الفلاني، المرشد الفلاني، ينتقل من عالمٍ إلى عالم، ومن رجل إلى رجل، فلعله يتعلم منه أمر الدين -قال: ثم وافاه الأجل))

ما هو الظرف الذي عاشه سلمان حتى وصل إلى يثرب ؟

قال:

((فمكثت بعده بعموريا زمناً، إلى أن مر بنا نفرٌ من تجار العرب، من قبيلة كلب، فقلتُ لهم: إن حملتُموني معكم إلى أرض العرب، أعطيتكم بقراتي كلها، وغنيمتي هذه، فقالوا: نعم نحملك، فأعطيتهم إياها، وحملوني معهم، حتى إذا بلغنا وادي القرى غدروا بي، وباعوني لرجلٍ يهودي، عبداً رقيقاً، وأخذوا بقراتي وغنيمتي، وباعوني ببيع الأرقاء، وأصبحتُ عبداً عند هذا اليهودي .))

-يستوقفنا هنا موقف، يعني أنّ الإنسان أحياناً قد يضعه الله عزّ وجل في ظروف صعبة ، يشتغل بمحلٍ صاحبه قاسٍ جداً، أو يكون موظفاً، يتعيّن في قرية نائية، خشونة في العيش، وشدة عزّ وجل هو الذي يعلم، وربما كان هذا التعيين بهذه القرية النائية خلوة لا يمكن أن تحققها في المدينة، وربما كان صاحب هذا المحل القاسي دافعاً لك إلى الله، لا تعرف، قال تعالى:

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

(سورة البقرة الآية: 216)

سيدنا سلمان الفارسي صحابي جليل، يباع ببيع الأرقاء، لرجل يهودي، وكان قاسياً جداً، وسوف تزوّن معي بعد قليل، من قسوته الشيء الكثير، هو يُريد الله عزّ وجل، لكن العبرة في النهاية، العبرة في خريف العمر، العبرة في النتائج .

قال: فالتحقّ بخدمته، ثم ما لبث أن زاره ابن عم له من بني فريضة، فاشتراني منه، ببيع ليهودي آخر، -وسلمان يبحث عن ماذا؟ عن الحقيقة .



أيها الأخوة، تلك الحقيقة تستحق كل هذا البحث، وتستحق كل هذا الجهد، تستحق كل هذه التنقلات، لأنك إن وصلت إليها وصلت إلى كل شيء، وإن فُزت بها، فُزت بكل شيء، وإن نقلت الحقيقة إلى الله عز وجل، ما فقدت شيئاً، ولا خسرت شيئاً، وأن أكبر خسارة تخسرها، أن تخسر نفسك التي بين جنبيك، وأن أكبر نجاح تنجحه، أن تُزكّيها وأن تعرفها بربها، فهو يبحث عن الحقيقة، ويطلب الله عز وجل، والله لا يخطئ، بل هو حكيم في ذلك، وهذا قدر الله عز وجل- ، قال: فاشتراني منه، ونقلني معه إلى يثرب، فرأيت النخل .

-بالمناسبة، النخلة من الأشجار المعمرة، التي تُعمّر أكثر من 100 عام، ولما كنت في الحج السابق تأملت أشد الألم، لأن هذا النخل أهمل إهمالاً شديداً، وأكثره ببس، طبعاً العمارات والأسواق، والمحلات التجارية والطرق، فهذه المنشآت قضت على بساتين النخل، وهذه البساتين كان ينبغي أن تبقى كما كانت إلى الآن، فترى حقولاً من النخل كلها يابسة، قد أهملت- .

قال: رأيت النخل الذي ذكره لي صاحبي بعموريا، و عرفت المدينة بالوصف الذي نعتها به، فأقمت بها معه))

أطلب من الله أن يهديك فقط، وسلم له يجمعك مع فلان، وينقلك إلى فلان، يمكن أن يكون الإنسان ساكناً ومقيم ببلد فرضاً، وجاءت خدمته الإلزامية في الشام، فاستعمل الوسائط حتى يبقى في حلب ما أمكن، فإذا به في الشام يلتقي مع أهل الحق، فانخرط بينهم، وأكرمه الله بالهدى، إذاً: هذا التعسير وقتها كان لصالحك . حدثني رجل، فقال: كنت في أمريكا، ودخلت أحد مراكزها الإسلامية، فرأيت رجلاً من هيئته، ومن شكله، يُعد من الطبقة الأولى في المجتمع، وهو يغسل المسجد بهمة ما بعدها همة، فلما سألت عنه، قالوا: هذا رجل يحتل مركزاً رفيع جداً في بلده، لكن كُلف بمهمة في الخليج، فنزل في الخليج في مدينة مع رجل مسلم حقاً، ومؤمن حقاً، فدلّه على الله، وأسلم على يديه، فلما عاد إلى بلده، وقد أسلم، فلزم المسجد، فهذه المهمة التي كُلف بها في الخليج، هذه بعلم الله عز وجل خير له، والدليل:

﴿وَلَوْ عَلَّمَ اللَّهُ فِيمَهُمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾

(سورة الأنفال الآية: 23)

ربنا عز وجل قد يجمعك مع شخص يوماً من الدهر، أو تذهب إلى مكان، فتلقي مع إنسان مؤمن، وينشأ بينكما حديث، فتتعلق به، وتكون هدايتك على يديه، وأنت لا تدري، فاطلب من الله الهداية وانتظر، كلام دقيق أقوله لكم: ادع الله واضرع إليه، فما دمت صادقاً في طلب الحقيقة يجمعك مع الأشخاص الذين يؤهلونك للحق، هذا سيدنا سلمان نقله الله من يهودي إلى يهودي، حتى بلغوا الخمسة، والسادس يهودي اشتراه، والسابع باعه إلى ابن عمه، والسابع من بني فريظة، ساكن بالمدينة، والأحداث تجري بقدر .

ما الخير الذي سمعه سلمان من خلال حديث سيده في العمل مع ابن عم له ؟

قال:

((كان النبي حينئذ يدعو قومه في مكة، لكنني لم أسمع له بذكر، لانشغالي بما يوجب عليّ الرق، -فهو عبد رقيق، كل وقته ملك سيده- ثم ما لبث أن هاجر النبي عليه الصلاة والسلام إلى يثرب، وهو لا يدري، فوالله إني في رأس نخلة لسيدي، أعمل فيها بعض العمل، وسيدي جالس تحتها، إذ أقبل عليه ابن عم له، وقال له: قاتل الله بني قبيلة، قبيلة الأوس والخزرج، والله إنهم الآن لمجتمعون بقاء على رجل قدم عليهم اليوم من مكة، يزعم أنه نبي، فما إن سمعت مقالته حتى مسني ما يشبه الحمى، واضطربت اضطراباً شديداً، حتى خشيت أن أسقط على سيدي من شدة الفرح، وبادرت إلى النزول من النخلة، وجعلت أقول للرجل: ماذا تقول؟ أعد عليّ الخير، فغضب سيدي، ولكني لكمة شديدة، وقال لي: مالك ولهذا؟ عد إلى ما كنت عليه من عملك))

قد تقرؤون في السيرة أن النبي عليه الصلاة والسلام، وهو سيد الخلق، وحبیب الحق، وهو سيد الأنبياء، وسيد الرسل، المعصوم، ذهب إلى الطائف يدعو قومه، وقد ورد في بعض الروايات أنهم كذبوه، وأنهم سخرؤا منه، وفي رواية أنهم ضربوه، فقد يسأل سائل: لماذا ضرب النبي عليه الصلاة والسلام؟ لولا أن النبي بشر، يجري عليه ما يجري على البشر، لما كان سيد البشر .

وهناك معنى آخر، هو أن النبي عليه الصلاة والسلام ضرب في الطائف من أجل أن المؤمن إذا تلقى لكمة لأنه آمن بالله عز وجل، ينبغي أن يكون له في رسول الله أسوة حسنة، والإنسان بسبب اتجاهه الديني قد يتحمل متاعب كثيرة جداً، يتحمل لكمات وضربات، ويحاصر أحياناً، ويُقاطع، ويُضيق عليه في رزقه، وفي بيته، هذا جهاد في سبيل الله، فالنبي قدوة لنا، تحمّل ما تحمّل من أجلنا، حتى إذا مررت بظرفٍ صعبٍ يكون لك في النبي أسوة حسنة .

إليك قصة إسلام سلمان الفارسي :

قال:

((ولما كان في المساء أخذت شيئاً من تمر كنت جمعته، وتوجهت به حيث ينزل الرسول، فدخلت عليه، وقلت له: إنه قد بلغني أنك رجلٌ صالح، ومعك أصحابٌ لك غرباء ذو حاجة، وهذا شيءٌ كان عندي للصدقة، فرأيتكم أحق به من غيركم، ثم قربته إليه، -أي ليأكل- فقال لأصحابه: كلوا، وأمسك يده، فلم يأكل، فقلت في نفسي: هذه واحدة، ما أكل من الصدقة، -ويُروى أن سيدنا رسول الله تأخر عليه الوحي مرةً، فقال تعليماً لنا:

((لعلها يا عائشة، تمرّة أكلتها من تمر الصدقة))

ليبيان شدة ورعه صلى الله عليه وسلم- .

((قلت في نفسي: والله هذه واحدة، ثم انصرفت، وأخذت أجمع بعض التمر، فلما تحول النبي من قباء إلى المدينة جنته، فقلت له: إني رأيتك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية لك، أكرمتك بها، فأكل منها، وأمر أصحابه فأكلوا معه، قال: وهذه الثانية، ثم جئت رسول الله وهو ببيع الغرق، وهو البقيع نفسه، ولم يكن يومئذٍ مدفنًا، اسمه بقيع الغرق، إلى جوار الحرم النبوي- قال: حيث كان يورث أحد أصحابه، فرأيت جالساً وعليه شملتان، فسلمت عليه، ثم استدرت أنظر إلى ظهره لعلني أرى الخاتم، الذي وصفه لي صاحبي في عمورية، فلما رأيت النبي أنظر إلى ظهره، عرف غرضي، فألقى رداءه عن ظهره، ففطرت فرأيت الخاتم، هكذا يروى، فعرفته فانكبتت عليه أقبله وأبكي.))

-فالقصد أنه وصل إلى بيت الصيد- فقال عليه الصلاة والسلام: ما خبرك؟ -ما هي قصتك يا ابني؟- فقصت عليه قصتي من أولها إلى آخرها سرُّ النبي صلى الله عليه وسلم سروراً بالغاً .
-أيها الأخوة، وهذه علامة إيمان فيكم، إذا كان لك قريب، أو صاحب، أو أخ، أو ابن أخ، ورأيتُه اهتدى، وصلى، وأقبل معك، ولزم مجالس العلم، فإذا لم تفرح فرح

يعدله فرح ففي إيمانك خلل، فيجب أن تفرح، لأن النبي فرح فرحاً كبيراً بسلامان، والدليل أنه سرّه أن يسمع أصحابه هذه القصة- ثم قال:
((فأمرني أن أسمعهم إياها، فقصتها على مسامعهم، فأعجبوا منه أشد العجب، وسُرّوا بها أشد السرور))

هي العبرة من قصة سلمان الفارسي؟

أيها الأخوة، ولسيدنا سلمان الفارسي قصص طويلة جداً، لكن هذه بدايته، فنحن لا نقول لكم: اذهبوا إلى أصبهان، ولا إلى تركيا، ولا إلى نصيبين، ولا إلى عمورية، ابق في بلدك، والزم مجالس العلم، واعمل أعمالاً صالحة، والقرآن بين أيديكم، والسنة بين أيديكم، والأعمال الصالحة متاحة أمامكم، ومجالس العلم موفرة عندكم، فكم بذل سلمان من الجهد، وكم تحمل من المشاق حتى توصل إلى الحقيقة؟ .

هذه قصة سيدنا سلمان الفارسي، في البحث عن الحقيقة، يعني كل ظروفه كانت تحول بينه وبين الهدى، ومع ذلك تجاوز كل العقبات، ووصل إلى النبي عليه الصلاة والسلام، وهذه القصة، يجب أن تكون نبراساً لنا في حياتنا، ابحث عن الحقيقة، فإن أدركتها ووصلت إليها فقد وصلت إلى كل شيء، وسعدت إلى الأبد، وإن غابت الحقيقة، فما وصلت إلى شيء، وما فزت بشيء، وكان الخسار والبوار، والعياذ بالله .